

وضعية المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بباريس وفهرستها — المكتبات الأخرى المخطوطات المغربية والإفريقية

الأستاذة إيفيت سوفان

قسم المخطوطات الشرقية بالمكتبة الوطنية
الفرنسية — باريس

علينا أن نفتح صحيفة تاريخية لنعرض عليكم رصيد المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس.

يحتوي هذا الرصيد على مائتين وسبعة آلاف مخطوطة، حصلنا عليها منذ خمسة قرون مضت، وهي متنوعة المواضيع، فنجد العلوم الدينية، والعلوم الإنسانية، والعلوم المحضة، مثل التأريخ والأدب والرياضيات وكذلك الوثائق.

ومن بينها نسخ قديمة وحديثة، وأمام هذا الاختيار أكتفي أن أميز النصوص التي اقتنيناها آخرا.

وفي أول الأمر أذكر تأريخ الرصيد باختصار وإيجاز، وسأذكر الفهارس المختلفة حتى يومنا هذا، ولماذا نراجع الرصيد بقواعد جديدة؟.

* * *

يرجع تاريخ الاهتمام بالمخطوطات العربية إلى عصر النهضة حيث نشأت مع رواد التيار الإنساني الدراسات العربية الكلاسيكية، وكان الهدف منها تحقيق النصوص القديمة وإطلاع أوروبا على العلوم الشرقية.

كانت لفرنسا علاقات دبلوماسية مع المغرب الأقصى، كان قنصل يقيم بفاس سنة ألف وخمسمائة وثمان وسبعين.

الصناعة الطبية» للمجوسي، و«شرح كتاب تلخيص المفتاح» للتفتازاني وعدد آخر من المخطوطات الطبية لابن البيطار وابن النفيس وابن سينا.

ومكتبة مدينة نيويورك العامة هي من أهم المكتبات في الولايات المتحدة وتحتوي على أكثر من 600 مخطوطة في قسمها الشرقي منها مخطوطة مصورة جميلة ونادرة «لعجائب المخلوقات» للقزويني، و«حياة الحيوان الصغرى» للدميري، و«قلائد العقيان» للفتح بن حاقان تعود إلى القرن العاشر الهجري، وتقوم الآن بربارة شمبر بتهيئة قائمة لكل المخطوطات الشرق أوسطية الموجودة في المكتبة.

ولا يسعنا في هذه العجالة إلا أن نذكر مجموعات جامعة ياييل، ومدرسة هارتفورد اللاهوتية، وجامعة ميتشغن، وفي كل منها عدد كبير من المخطوطات الجميلة والمهمة.

وفي الختام يمكننا القول إن المجموعات الأمريكية تكون أكثرها خلال هذا القرن عن طريق الشراء والإهداء، وأن معظمها لا يزال بدون فهرسة ولكنها محفوظة حفظا جيدا

وتقدم المكتبات الأمريكية على العموم خدمات عديدة إن كان في الصيانة أو في الحفظ أو في توفير المعلومات المتوفرة عن المخطوطات أو استنساخها للباحثين المحتاجين إليها. كما أنها لا تتوانى في مساعدة الباحثين عموما في كل الحقول المتعلقة بالمخطوطات.

أقام هوبرت (Hubert) بمراكش وكان أستاذاً بالمعهد الفرنسي (College de France) ودرّس فيه ترجمة ابن سينا.

وكانت آنذاك لفرنسا علاقات بالشرق الأوسط بواسطة البعثات الثقافية التي عملت على توطيد العادات الإنسانية.

وبعد مدة، كولبار (Colbert) وزير لويس الرابع عشر أعطى توجيهات لشراء المخطوطات فيما يتعلق بالدين والتاريخ والجغرافيا والطب وغيرها.

وحينئذ اكتشف جلان (Galland) وهو المترجم المشهور «لألف ليلة وليلة» بقسطنطينية «كشف الظنون» لحاجي خليفة وترجمه إلى اللغة الفرنسية، وهذا الكتاب صار مرجعاً هاماً لتوجيه اكتشافات المخطوطات.

بعد هذه الترجمة المهمة والعظيمة، حرر هذا العالم تمهيداً لـ «المكتبة الشرقية» لديريللو (D'herbelot) مدرس في المعهد الفرنسي، وهذا الكتاب مجموعة للتأليف المشهورة على الشرق في القرن السابع عشر الميلادي.

وفي مقدمة هذا الكتاب عجب جالان (Galland) للمؤرخين الشرقيين الذين شهرروا الملوك والأعلام المعروفين، وأشاد بالجغرافيين العرب ونوه باهتمامهم ودور المنجمين في هذا العلم. ومن بين مخطوطات هذا العهد نجد مختصراً لكتاب «نزهة المشتاق» للشريف الإدريسي وهو نص روما ونجد كتاب أبي الفدا «تقويم البلدان» وكان هذا الأمير مشهوراً في ذلك القرن وأيضاً مسودته «مختصر في أخبار البشر» وبجانب آخر عندنا نص ريبطوريقا وقاطيغورياس لأرسطوطاليس مع حواشي حسن بن سوار تلميذ ابن عدي وقوبلت هذه المخطوطة وصححت عام ثمانية عشر وأربعمائة هـ. (1027 م).

كانت مكتبة الملك تحتوي في بداية القرن الثامن عشر، ألف وسبعمائة مخطوطة وبعد ذلك أمتت مكتبات كبار الأديرة أيام الثورة الفرنسية وأضيفت مخطوطاتها بالمكتبة الوطنية وبعد ذلك وقع فراغ في الدراسات العربية حتى ازدهارها مع العالم سيلفاستر دي ساسي (Sylvestre De Sacy) الذي جدد المدرسة للغات الشرقية وأسس الجمعية الآسيوية عام اثنين وعشرين وثمانمائة وألف وهو راسل العلماء في كل العالم، وشجع نسخ المخطوطات في فرنسا وبقية البلدان لجمع النصوص المهمة.

لا أتحدث عن المخطوطات التي تم اقتناؤها في ذلك العهد لقد نشرت أغلبها سأذكر مثلاً «الخلل الموسية في ذكر الأخبار المراكشية» و«مؤنس في أخبار إفريقيا وتونس» هذا يخص التاريخ ولنا نصوص أخرى «كإزالة العبوس في قصيدة ابن عروس» للخلوتي أو «مختصر جغرافيا» علي بن سعيد المغربي.

* * *

في ما يخص المقتنيات الأخيرة فقد تم شراؤها من مختلف المكتبات التجارية، وكذلك الحصول عليها من الهبات والهدايا من شخصيات مختلفة. وهذا ما يفسر التسلسل المستمر لجمع الرصيد، وتنوع مواضعه.

ولذلك فإن المجموعات التي أهديت إلى قسم المخطوطات الشرقية تزيد في تنمية الرصيد زيادة ملحوظة وفريدة بوحدة الوثائق وتستحق عرضاً خاصاً. ومثل ذلك مجموعة ج. كولان (Georges S. Colin : 1977/1893)، ونخزون (Dépot) مخطوطات الجمعية الآسيوية.

في عام ألف وتسعمائة وثمانين، أهديت مكتبة ج. كولان (G.S. Colin) الخاصة للمكتبة الوطنية. والمعروف عنه أنه اشتغل بمدرسة اللغات الشرقية الحية، كما ساهم في أعمال معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

وقد أدرجت جميع دفاتيره التي تبلغ الثلاثمائة في رصيد أوراق المستشرقين (Papiers D'orientalistes). وتتعلق تلك الأوراق بمختلف محاور اهتمامه، كلغة غناء أهل غرناطة، والأغاني المغربية، وأغان لإنامة الأطفال؛ ولغات أخرى كالمالطية والصقلية والمغربية الدارجة.

كما قام الأستاذ كولان بنشر ديوان ابن قزمان، وبعض الحكايات والقصص، وروايات منقولة خصوصاً عن مراكش.

واهتم بدراسة أعلام الشعر الأندلسي، في الزجل والموشحات، ومثليه في المغرب. وسجل عدداً كبيراً من الملاحظات حول ابن سهل، وابن عروس، وابن العاصم، والششتري؛ وأخرى في الجغرافية، كجغرافية الزهري وابن سعيد المغربي.

وقام جورج كولان (Georges S. Colin) بإعداد قاموس مغربي. والمكتبة الوطنية بباريس تحتفظ بمدوناته، ورسائل بعض المرشدين له؛ أما البطاقات التي تتصل بها فتم تسجيلها في رصيد المخطوطات العربية، وتكمل الدفاتير.

كما أنه أفرز أصولاً لتهبيء معاجم خاصة بلغة الغناء بغرناطة، أو بلغة ابن قزمان. سجل بطاقات في أسماء أماكن إسبانيا وغرناطة وأعطى إرشادات لوضع مجموعة بطاقات في التاريخ والجغرافيا وجمع قائمات المؤلفين.

وبجانب مجموعة مخطوطاته سجلت في رصيد المخطوطات العربية (رقم 7003 — 7048 — 7069 — 7074 — 7077 — 7084) دواوين وأبيات الشعر التي كانت قاعدة ملاحظاته في الدفاتير، بحيث نجد ترجمات مختلفة لكناش الحائك، ودواوين أرجال وموشحات.

نجد أيضا نبذة تاريخية عن شمال إفريقيا، واتصالاتها مع أوروبا، كرحلة ابن قاسم الحجري التي تصف رحلته إلى فرنسا وهولندا أيام مولاي زيدان، إضافة إلى طبقات أولياء زوايا موريتانيا والسينغال.

وفي عام ألف وتسعمائة وإحدى وثمانين وضعت مخطوطات الجمعية الآسيوية في المكتبة الوطنية (7086 — 7167) وأغلبها يتصل باهتمام مؤسسها الذي ذكرناه وهو سيلفاستر دي ساسي الذي أراد أن يجمع مراجع في النحو لأعضاء الجمعية والكتب التاريخية الغير مدروسة حتى هذا الآن كتكملة ابن الأبار، والحلة السيرة لابن الأبار، وبعضها نسخت على نسخ الايسكوريال، كالصلة لابن بشكوال، والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار وروضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر لابن الشحنة مما يفسر لنا نشاط علماء هذا العهد.

كما قامت الجمعية الآسيوية بجمع مخطوطات (الدكتور ريشير رقم 7131 — Docteur RICHER 7161) الذي عاش في النيجر، وقام بدراسة لغة التوارق في خلال كتابه عن الأولميدان (OULIMIDEN)، مستعملا في ذلك مجموعة من المخطوطات والنصوص الكلاسيكية، والوثائق التي تخص جماعة الكنتي البكاية ضمن الطريقة القادرية. وجعلت الجمعية تلك الوثائق في خدمة الباحثين لتكميل معلوماتهم عن إفريقيا الغربية، إلى جانب مجلدات خزانة الحاج عمر تل مؤسس امبراطورية توكولار (TOUCOULEUR).

ويمكن الاستفادة من تلك المجموعات فيما له صلة بالعلاقات بين المسلمين والتوارق، ضمن حدود مالي والنيجر. وكذلك ماله اتصال بالحياة اليومية والدينية، وماله ارتباط مع معتقدات أهل الكتاب لسكان المنطقة.

إن بعض نصوص هذه المجموعات هي من تأليف ممثلي الكنتي، وخصوصا محمد بن المختار بن حبيب الله، أو أولاد الشيخ سيدي المختار الكبير.

بجانب هذه المجموعات نجد نسخا في العلم الذي اشتهر به العرب باكرا، مثلا الزيغ للبتاني مؤرخ من القرن الخامس الهجري، والقانون للمسعودي مؤرخ من القرن السادس الهجري، وعندنا مجموع مؤلفات جابر بن حيان الذي يرجع تاريخه إلى القرن السابع الهجري.

لقد حصلنا أخيرا على نسب تاريخ الشرفاء بمدينة فاس، وخصوصا الأدارسة والحسينية وهو يجمع «الدر السني في بعض من فاس من أهل النسب الحسنية» لعبد السلام القادري، والكلام على الجوطية، و«مطلع الإشراف في نسب الشرفاء الواردين من العراق» و«تقاريط على مطلع الإشراف»، و«الجواب في النسب الحسنية» لأحمد بن عبد القادر الحسنية. وهذه النبذ تستحق المقارنة مع ما طبع بفاس. وهذه النسخة مؤرخة 1146هـ/1734م.

وقد أتمنا فهرسا عاما للمقتنيات الأخيرة (Arabes N° 6836-7214- Paris 1987 Index des manuscrits).

الآن نرجع إلى تاريخ الرصيد لنصف الفهارس المختلفة حسب تاريخها. كما ذكرناه سابقا فقد تم طبع أول فهرس Catalogue لمخطوطات المكتبة الملكية عام ألف وسبعمائة وتسعة وثلاثين، بلغ مجموع هذه المخطوطات إلى 1660 (ألف وستائة وستين نسخة) وقد وصفوها باللغة اللاتينية باختصار.

وفي آخر القرن التاسع حرر البارون دي سلان Baron De Slane فهرسة جديدة، وبذل جهدا علميا لأنه أعطى تفاصيل حول المؤلفين، والنشر، وأضاف إرشادات على النسخ كمقياس الورق، وعدد الأوراق. وكانت المجموعة تبلغ 4665 مخطوطة ثم في عام 1925 أتم إدغار بلوشي الفهرسة (Edgard Blochet) وكانت تجمع 6753 مخطوطة.

وقد شعرنا بالضرورة أن نحرر فهرسة أخرى بقواعد جديدة وبدأنا بالمخطوطات المسيحية مع الأستاذ تروب (Pr Gerard Troupeau)، وراجعنا مع الأستاذ جورج فاجدا (P. Georges Vajda) المخطوطات الإسلامية حتى الرقم 1464 نقسم البطاقة على قسمين، القسم الأول على النص الأساسي، ونصف البداية. والقسم الثاني

على النسخة. وهي تقسم أيضا على اثنين، الأولى على تاريخ النسخة والخط، ومن ملكها وقراها، وتاريخ إضافتها إلى مجموع الرصيد منذ عهد الملوك، وتدوين الأرقام القديمة حتى الآن. والثانية المقياس، وعدد الأوراق والسطور ومقياسها ووصف التجليد.

وختاما قد عرضت عليكم باختصار وإيجاز النصوص الفريدة من نوعها قصد إيجاد طرق تتم عملنا.

وضعية مخطوطات خزانة الجامع الكبير بمكناس

الأستاذ محمد العراشي

محافظ خزانة الجامع الكبير سابقا

المحور الأول : التعريف بالخزانة

من المعلوم أن موقع البلد الذي توجد به خزانة الجامع الكبير هو مدينة مكناس، العاصمة الإدارية والسياسية للدولة المغربية، في عهد السلطان المولى إسماعيل المتوفى بها في 28 رجب عام 1139هـ / 1727م.

وموقع المدينة على الخريطة المغربية، هو المنطقة الجنوبية الوسطى حسب الاصطلاح الإداري الجديد، يحدها شمالا إقليم سيدي قاسم والقنيطرة، وجنوبا إقليم يفرن وخنيفرة، وشرقا إقليم فاس وبولمان، وغربا إقليم الخميسات، وتبعد عن العاصمة الإدارية : الرباط بـ 140 كلم.

أما الخزانة فتقع داخل المدينة القديمة، بحي يرجع تاريخه إلى عهد الدولتين الموحدية والمرينية، يسمى الآن شارع العدول، حذو أحد أبواب الجامع الكبير الغربية، المعروف قديما بباب الكتب، نقلت إليه الخزانة من مركزها القديم، الواقع في أعلا ساباط الأسبوع، الواقع مدخله في الصف الأول من الجامع الكبير، أوائل الخمسينات، في عهد المغفور له جلالة محمد الخامس، حيث أصبحت مكتبة عامة تضم بالإضافة إلى قسم المخطوطات قسما هاما للمطبوعات، ونظرا لكونها الآن تحت إشراف وزارة الشؤون الثقافية فإنها تزودها بكل ما جد في عالم المطبوعات، طبقا للتعالم السامية لجلالة الحسن الثاني نصره الله، إلا أن متطلباتها أصبحت الآن تفوق حجمها الضيق، نظرا للإقبال الواقع عليها من طرف الطلبة والأساتذة الباحثين من داخل المغرب وخارجه.